الإنابة والفناء في القيم الروحية السامية لزيارة الأربعين

أ.م.د سلام رزاق حسون
كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة المثنى

salam@mu.edu.iq

ملخص البحث :

الوصول للمحبوب عين لقاء الله تعالى،ورؤيته تتحقق بالقلوب بحقيقة الإيمان لا بأبصار الظاهر رؤيةً ولقاءً وزيارةً ووصالًا، ومنزّهًا عن كل أنواع الشرك الربوبي والتعلق الدنيوي وحب النفس والهوى،وهذا كله منتف عن الحسين عليه السلام وأصحابه العاشقين للشهادة،فنهض الإمام الحسين من حرم جدّه ولم يقتصر في الوداع على قبره الطاهر؛ إذ المسافر يودع من وطنه المحبوب وكل ما يتعلق به،فكلما وقع نظره عليه من الأصحاب والأحباب وغيرهما حتى الماء والتراب كان مودعا لهم وداعا من لا يأمل الرجوع،لأنه يعلم أن الشهادة هي خاتمته،فالملحمة الكربلائية أعطت نموذجا حيا وواضحا عن الولاء والوفاء والفداء لله رب العالمين، فكان وصاله لله عين لقاء الله تعالى به تعالى،وفناء الإمام الحسين وصحبه يوم العاشر من محرم من ذلك،لأنّ كلّ ذلك بالله تعالى لا بالحواس الظاهرة ولا بالحواس الباطنة ولا بالقوى البشريّة ولا بالعقول والأفهام والعلوم، وهو الحضور عنده تعالى والانقطاع عن الخلق والتوجّه به إليه تعالى.

وإظهار حقيقة المعبود الذي من أجله ضحى العباد لمعبودهم،والعشاق لحبيبهم الأوحد ولمظاهر الجمال والمحبوب أمر فطري تعاهدت عليه الأمم المؤمنة،فكذلك إحياء زيارة الأربعين وقيمها الروحية الإيمانية وفناء المحب في حب معشوقه فكان عطاءا لا مثيل له في التضحية والبذل والتحمل في كل شيء رضا لله وعشقا لمن ضحى في سبيله دفاعا عن الدين وقيم السماء فكانت الزيارة الأربعينية – التي يحرص أهل البيت أن تتغلل في نفوس المسلمين – إلى إبراز معالم المدرسة الحسينية التحررية التي استشعرت الظلم ورفضته ببسالة الحسين وعنفوانه وشجاعته وبأخلاقه وبمواقفه

التي خلدها التاريخ،فجاء البحث ليبين واحدة من القيم الروحية وهي الفناء والإنابة لله عند الإمام الحسين(عليه السلام) والتي تجسدت في زيارة الأربعين،فضلا عن غيرها ودأب الباحث على الإختصار في إبراز ذلك لما تحمله هذه اللفظة من دلالات متنوعة عن الإيمان والتقوى والخضوع والخشوع وغيرها التي تبرز حقيقة المعبود الذي ضحى من أجله العابد الإمام الحسين(عليه السلام) وأصحابه المنتجبين الأخيار،مع جملة من النتائج المستوحاة من البحث،ومن الله التوفيق.

الكلمات:المفتاحية:التضحية، الحب، مظاهر العبودية،القيم الروحية والفكرية، الفناء.

Surrender and Annihilation in the Spiritual Values of the Ziyarte AL-Arba'een

Assistant Professor: Dr. Salam Rizak Hassan

University of Al-Muthanna- College of Education for Human Sciences

Abstract

Reaching the beloved is the eye of meeting God Almighty، and his vision is realized in the hearts with the reality of faith، not with the outward sights of seeing، meeting، visiting and connecting، and free from all kinds of godly polytheism، worldly attachment، self-love and whims، and all of this is denied from Hussein (peace be upon him) and his companions who love martyrdom، so Imam Hussein rose from the sanctuary of his grandfather. He was not limited to his farewell to his immaculate grave; As the traveler is bidding farewell from his beloved homeland and everything related to it، whenever his friends، loved ones and others look at him، even water and dust، he is bidding farewell to

them، farewell to those who do not hope to return، because he knows that martyrdom is his conclusion.

The Karbala'i epic gave a vivid and clear example of loyalty، loyalty، and redemption to God، Lord of the Worlds. His connection to God was the same as meeting God Almighty with Him، the Exalted، and the annihilation of Imam Hussein and his companions on the tenth of Muharram. With intellects، understandings and sciences، it is the presence with Him، the Most High، the abstention from creation، and the directness with Him to Him، the Most High.

Showing the reality of the deity for which the servants sacrificed for their idol، and lovers for their one lover and for the manifestations of beauty and the beloved is an innate matter upon which the believing nations have covenanted. So، too، is the revival of the visit of the forty days and its spiritual values of faith، and the annihilation of the lover in the love of his beloved. For those who sacrificed for their sake in defense of religion and the values of heaven، the Arbaeen visitation - which the Ahl al-Bayt is keen to infiltrate the hearts of Muslims - was to highlight the features of the Liberal Hussainiya school، which sensed injustice and rejected it with the valor، violence، courage، morals، and stances of the Hussainiya school immortalized in history.

The research came to show one of the spiritual values، which is the annihilation and repentance to God according to Imam Hussein، which was embodied in the forty visitation، as well as others. For his sake، the worshiper Imam Al-Hussain D and his chosen and good companions، with a number of results inspired by the research، and from God the success.

Keywords: sacrifice، love، manifestations of slavery، spiritual and intellectual values، annihilation.

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
c-karbala.com
المجلد الأول/ العدد الأول / السنة الأولى

المقدمة

الشعائر الحسينية المختلفة بألفاظها وأزمانها والمتفق عليه بالجملة – ومنها زيارة الأربعين – من أهم المندوبات في الفكر الإمامي،بل في بعضها تأكيد من الأئمة على المداومة عليها من قبيل: إقامة العزاء عليهم في ذكرى شهادتهم ولا سيما سيد الشهداء،والتأكيد في بعضها كزيارة الأربعين باعتبار أن الشعائر عموما هي رفد البصيرة والإنسانية بالمبادئ والقيم العليا،وبيان حقيقة التسليم لأمر الله جل وعلا لا مجرد ألفاظ تقال، وبنفس الوقت هي ثقافة متنوعة تمثل الوفاء للقرآن والعترة، والعزّة والسمو والإباء والرفعة، وثقافة عدم الاهتمام بزخارف الدنيا وملذاتها،بل إظهار حقيقة المعبود الذي من أجله ضحى العباد لمعبودهم،والعشاق لحبيبهم الأوحد ولمظاهر الجمال والمحبوب، وكما إن احياء ذكريات المعصومين في مضمونها ومحتواها فيها دلالة على الإيمان والتقوى حيث فيها من الصلوات والأدعية المقربة لله،فضلا عن كونها معبرة عن الولاء لأهل البيت عامة والإحساس بمظلوميتهم وخصوصا ما جرى للإمام الحسين ومن جهة أخرى تهدف الزيارة الأربعينية –التي يحرص أهل البيت أن تتغلل في نفوس المسلمين – إلى إبراز معالم المدرسة الحسينية التحررية التي استشعرت الظلم ورفضته ببسالة الحسين وعنفوانه وشجاعته وبأخلاقه وبمواقفه التي خلدها التاريخ،وخلق جيل يعد ذخرا للوطن وللعقيدة وللإنسانية وموئلا للكرامة،ومن هنا جاء البحث ليبين واحدة من القيم الروحية ألا وهي الفناء والإنابة لله عند الإمام الحسين والتي تجسدت في زيارة الأربعين، فضلا عن غيرها ودأب الباحث على الإختصار في إبراز ذلك لما تحمله هذه اللفظة من دلالات متنوعة عن الإيمان والتقوى والخضوع والخشوع وغيرها التي تبرز حقيقة المعبود الذي ضحى من أجله العابد الإمام الحسين ومن تبعه من صحبه الأخيار ومن الله التوفيق.

التمهيد:

التضحية والفداء والتفاني المطلق في سبيل الرسالة أعلى درجات الوعي للنهضة تجاه الإنحراف العقيدي الذي ظهر بعد ما أسس رسول الله ﷺ القيم العليا في التضحية والفداء للأصحاب الاّ انّه يبقى مجال للقول بأن إشكالات المنطق والتفكير والخلق الجاهلي ما تزال كامنة في أعمال البعض من الأعماق،وانّها لتطفو على السطح في كثير من الأحيان، بخلاف البعض الآخر الذي مثل أعلى درجات التضحية والإيثار متمثلة بليلة مبيت علي بن أبي طالب عليه السلام على فراش الرسول١ يفديه بنفسه، ويؤثره بالحياة، وقد أشاد الله تعالى بهذا الموقف التضحوي الفريد، فأنزل: ﴿ومِنَ النَّاسِ مَنْ يَشرِي نَفسهُ ابتغاءَ مرضاتِ الله واللهُ رؤوفٌ بالعبادِ﴾ (البقرة :٢٠٧).

وهذا السلوك النبوي، ظهرت بصماته واضحة في سلوك أهل بيته عليهم السلام، الذين يسيرون على نهجه، ويترسمون خطاه، ويترجمون أقواله إلى واقع عملي ملموس: فعن محمد بن كعب القرظي، قال: سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: (لقد رأيتني وإنّي لأَربط الحجر على بطني من الجوع، وإنّ صدقتي لتبلغ اليوم أربعة آلاف دينار) (نهج البلاغة، خطبة ١٦٧)، كلّ ذلك لأنّه كان يؤثر على نفسه، ويفضّل مصلحة غيره على مصلحته،وأمّا الحسين الشهيد عليه السلام فهو الآخر قد ضحى وآثر بنفسه وعياله وصحبه بعدما رأى من بني أُمية إن دامت الحال لهم ولم يقف في وجههم من يكشف سوء نيّاتهم، سيمحون ذكر الإسلام، ويطيحون بمجده، فأراد أن يثبت للتاريخ جورهم وعدوانهم، ويفضح ما كانوا يبيّتونه لشريعة الرسول، وكان ما أراد،ولولا نهضته المباركة عن مبادئ الإسلام،وأصحابه يوم الطف لما قام للإسلام عمود، ولا اخضر له عود، ولأماته معاوية وأتباعه ولدفنوه في أول عهده في لحده(السبحاني،١٦٢).

إن إنسانًا مخلصًا للإسلام كالإمام الحسين ﷺ قد تحرّك نحو هدف إقامة النظام الإسلامي الأصلح، ومن أجل الحق وتحقيق العدالة، وقد ضحّى بنفسه من أجل هذا الهدف فعندئذٍ تدرك الأُمّة أنّ السعي للهدف الذي ضحّى من أجله الإمام الحسين يعدّ من أقدس الواجبات ويستحق التضحية كما ضحّى له الإمام الحسين ﷺ، ولهذا، فالإمام الحسين خرج معلنًا الثورة على يزيد وأعلن عن هدفه ومبررات خروجه، والغاية التي ينشدها، واتضح من مجموع خطاباته وأقواله وبياناته، أنّه كان يريد تصحيح الأوضاع المنحرفة، وتشييد نظام صالح تقام فيه الشريعة وتصان فيه الحقوق ويحكمه الأخيار المنتجبون.

لذا من الآثار الإيجابية للثورة الحسينية أن شهادة الإمام الحسين تحولت إلى مدرسة سيارة عمّقت حب الحسين في قلوب محبّيه وألهمتهم دروس التضحية والفداء، وعلّمتهم أحكام وأخلاق دينهم نتيجة مظلوميّته وتضحيته العظيمة في سبيل الإسلام.

فكانت أرض كربلاء، ويوم عاشوراء رمز الجهاد المقدس في سبيل الحرية والكرامة، وعنوان التضحية ضد الظلم والطغيان، فاحياؤها كذلك ثورة على الظلم والطغيان،كما ولا تعرف الإنسانية واحدًا في تاريخها كله تمثلت فيه روح التضحية والفداء من أجل ما يعتقد ويدين كما تمثلت في الحسين ﷺ الذي نطق الواقع على لسانه، وهو في طريقه إلى الاستشهاد:(أمضي على دين النبي) (المجلسي، ٤٥-٤٩).

فلقد رحب الحسين بالاستشهاد، وأقدم عليه دون تردد لا حبًا بالموت، وتبرمًا بالحياة، ولا فرارًا من سأم، ولا اضطرابًا في النفس، ولا طموحًا إلى بطولة وسلطان، ولا خوفًا من الاتصاف بالجبن.. لا دافع ولا هدف على الإطلاق إلا الامتثال لمشيئة اللهّ، والانقياد لأمر رسول اللهّ الذي لا مفر من طاعته، ولا محيد.

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
c-karbala.com
المجلد الأول/ العدد الأول / السنة الأولى

ومن هنا كانت هذه الشعائر كنزًا عظيمًا يجب أن يُحفظ ليُستثمر في إحياء الإسلام والإيمان والتقوى،لذلك قيل ان الدين الإسلامي محمدي الوجود حسيني البقاء) (ذياب،ص٥٣) وهذا ما نراه في التضحية التي قدمها الحسين يوم عاشوراء حيث أرخص الغالي والنفيس لإحياء شجرة الرسالة المحمدية في كل جوانبها فغذاها بدمه ودم عياله من الأطفال والشباب والشيوخ والنساء حتى الطفل الرضيع، وعلى هذا الأساس يكون معنى (فاطمة أم أبيها) (المغربي،١/ ٢٥٩).

ان استمرار الإسلام وبقاء رسالة السماء وحفظ القرآن الكريم وعقائده مناهجه إنما يكون بواسطة فاطمة الزهراء عليها السلام ومن خلال ذريتها، ويذكر الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين قدس سره: إنّ الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام كانا وجهين لرسالة واحدة، كل وجه منهما في موضعه منها، وفي زمانه من مراحلها يكافئ الآخر في النهوض بأعبائها ويوازيه بالتضحية في سبيلها... وكان (يوم ساباط) أعرف بمعاني التضحية من (يوم الطف) لدى أُولي الألَباب ممّن تعمّق... وكانت شهادة الطف حسنية أوّلًا وحسينية ثانيًا؛ لأنّ الحسن أنضج نتائجها، ومهّد أسبابها،وقد وقف الناس بعد حادثتي ساباط والطف يمعنون في الاحداث، فيرون في الامويين عصبة جاهلية منكرة) (آل ياسين: ج٤، العلايلي،: ٢٥،٤٣، الطبري: (٥،١٦٢، ابن الاثير: ٣،٤٠٤، للذهبي: ٤،٥، ابن قتيبة: ١،١٦٤).

المبحث الأول
المعنى الحقيقي لإستحباب زيارة الأربعين والقيم الروحية فيها:

المعنى الذي أرادوا منه أهل البيت على إظهاره من خلال التواجد الحقيقي عند قبر الحسين(عليه السلام) وتذكر المواقف التي جسدها في عاشوراء ويوم الأربعين، والاصرار على زيارته أهداف منها التعلم من مدرسته مفاهيم الحق والكرامة، والمواساة لرسول الله بالالم والحزن الذي طرأ على أهل البيت بسبب الواقعة، والوقوف بوجه الظلم والظالمين، ففي يوم الأربعين نرى الزحف المليوني على الطرق من جوانبها الأربعة لكربلاء الذي في حد نفسه يعدّ جهادا وتحديا بوجه الطغيان،ولمن يريد أن يقف بوجه الصوت الحسيني (والله لا اعطيكم بيدي اعطاء الذليل ولا أفر فرار العبيد) (المجلسي،٤٤،١٩١).

فيخرج الزائر من القبر محملا من تراب كربلاء بالعنفوان الحسيني ويحمل الصدق في دعواه والخلق الرفيع، فضلا عن كون الزيارة الأربعينية تمثل كرنفالا عظيما ويتناول فيها الامور العقائدية والشؤون الأخلاقية والاجتماعية والتاريخية، والقضايا ذات العلاقة بالامور الحيوية اليومية التي تهم المسلمين، فهي تشتمل على مضامين مشتركة تتعلق في كيفية الزيارة وآداب الزيارة والأدعية المقربة لله التي تقرأ في مراسيم زيارات المعصومين(عليهم السلام)، وكما أن لها أبعاد عقائدية توحيدية إسلامية وروحية،مثل التكبير مئة مرة،والشهادتين،وكذلك السلام على الائمة الاطهار(عليهم السلام).

وعلى الرغم من أن كلمات الفقهاء اتفقت في أنه لا ريب في استحباب (البحراني، ١٨، ٣٣٧).

مجلة علمية محكمة نصف سنوية c-karbala.com المجلد الأول/ العدد الأول / السنة الأولى

زيارة الأربعين للإمام الحسين ﷺ وحكمهم في ذلك ودلت على ذلك النصوص، حتى إن ثمة روايات(العاملي، ١٤، ٤٧٨ الطوسي،٧٣٠).

ذكرت نص الزيارة التي يستحب أن يزور بها المؤمن الإمام الحسين ﷺ في هذا اليوم، بل عدت الزيارة الأربعينية من علامات المؤمن إذ جاء في الخبر خمس من علامات المؤمن: صلاة إحدى وخمسين، وزيارة الأربعين، والجهر بـ (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، والتختم في اليمين، وتعفير الجبين) (بن طاووس :٥٨٩ الطوسي : ٦، ٥٢، المفيد:٦٠)

وبالرغم من كل وسائل العنف التي مارسها الطغاة الحاكمون ضد التشيع ومظاهره فقد بقيت المآتم الحسينية ومنها زيارة الأربعين صامدة ومتحدية،وتقام ولم تتأثر بالاخطار لأنها تعبيرًا عن المعارضة لحكم الجائرين،وادانة صريحة لتجاوزاتهم واستغلالهم لخيرات الشعوب والمستضعفين في الارض بالرغم من وسائل العنف من الحاكمين وأعداء أهل البيت .

هذا المحتوى العاشورائي البطولي التحرري المنبعث من إقامة المآتم الحسينية في زيارة الأربعين وغيرها كان من اولى الدوافع لدعوة الائمة ﷺ على احياء هذه الذكرى والالتزام بها مهما كانت النتائج والمضاعفات، فكانت زيارة الأربعين لها الأثر المباشر في حدوث تلك الانتفاضات الشيعية التي كانت ترفع شعارات يالثارات الحسين كثورة المختار وثورة زيد ﷺ (المجلسي،٣٨، ٢٢).

وتجعل منها منارا وشعار لبعث الروح النضالية والتضحية في سبيل الحق والعقيدة، فترسخت في عقول الناس وقلوبهم سواء في ذلك ما كان منها في العصر

الاموي أو العباسي أو العصور المتأخرة وجميعها ردا على ما ارتكبه اولئك الطغاة من قتل وتشريد وأسر وتفنن في اساليب التعذيب، وهذه الانتفاضات كانت روح كربلاء تحركها وتدفعها إلى المضي.

وقد حاول الباحث بمقدار ما يحمله من ولاء أن يبرز معاني الفناء والتضحية والايثار وغيرها التي أظهرتها الزيارة في يوم الأربعين تخليدا للدماء التي سالت في كربلاء في يوم الطفوف، ولما جاء في الزيارة وتصويرها تبعا لتضحية وبلاء وصبر وجهاد هذه الفئة المؤمنة وغيرها من العناوين لأرض الطفوف بل من خصائصها، فالخلود في الدنيا ذكرا وعطاءً وشموخا، والآخرة جنات عدن ورضوان من الله أكبر ما كان ليأتي الا بالشهادة: (فأكرمتهُ بالشَّهادةِ) اشارة إلى شهادة الإمام الحسين عليه السلام إلى نصه (فبذلَ مُهجتهُ في الله ليستنقذَ عبادكَ من الجهالةِ وحيرةِ الضَّلالةِ)، فحققت الخلود في ضمائر الشرفاء، فعاشوراء ما زالت خالدة في ضمائر المحبين والموالين ويتخذون من شهداءها ضياءً ونورًا ومنهجا للحياة، وتجدد هذه الذكرى يوم الأربعين.

إن السبب الرئيسي لخلود هذه الفئة المؤمنة من الشهداء هو الصدق في الشعار يستبقيه خالدًا لعدم التنافر ولا التنازع بين الشعار وبين المبدأ الذي يحمله الإمام الحسين عليه السلام (إني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله) (الشافعي٥/ ٣٤؛ الخوارزمي،١/ ١٨٨؛ المجلسي،٣٢٩،٤٤؛ المازندراني،٤/ ٨٩).

ومن هنا كان زيارة الأربعين معبرة عن هذا الشعار ومخلدة له لأنه تبين وفود الملايين لإحياء هذه الزيارة مخاطرة بأرواحها متحملة كل أنواع البطش والقتل من قبل الحكام الظلمة أبان الحكم الأموي والعباسي ومن جاء بعدهما من الأنظمة

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
c-karbala.com
المجلد الأول/ العدد الأول/ السنة الأولى

الفاشية المستبدة، ومن هنا خلدت هذه الزيارة بألفاظها وسرها وإندفاع الملايين في تحمل المخاطر لانها تنطلق من فطرة الإنسان تتغذى بالتقوى، والإيمان بالله وآل البيت عليهم السلام.

المطلب الأول

أسباب الثورة على الفساد الأموي في هيكلية الدولة

هناك جملة من الأمور دعت إلى الثورة تعلقت بالبطش والظلم وأنواع العنف فضلا عن الفسق والفجور الذي أصاب الحكومة والوسط السياسي الذي رفع شعار الإسلام مما أعطى الصورة البشعة عن هذا العنوان مما دعا الإمام الحسين عليه السلام إلى الثورة والتضحية في سبيل المبادئ الحقة ويمكن إيجاز تلك الأسباب بما يلي:

١. حشَّد معاوية والبيت الأموي كلَّ ما ما أتيح له مِن وسائل مستثمرًا حالة الانهيار النفسي الذي أصيبت به الأمَّة، وما ذكره الطبري ابن الاثير في الكامل:« لَمَّا أراد معاوية أن يُبايع ليزيد كتب إلى زياد يستشيره، فبعث زياد إلى عبيد الله بن كعب فقال... انَّ أمير المؤمنين كتب اليَّ يزعم انَّه عزم على بيعة يزيد وهو يتخوَّف نفرة الناس... ويزيد صاحب رسلة وتهاون مع ماقد أولع به من الصيد، فالقَ أمير المؤمنين مؤديًا عني فاخبره عن فعلات يزيد، فقال له:رويدك... فقال عبيد... وألقى انا يزيد سرًا من معاوية فاخبره عنك... وانَّك تخوَّف خلاف الناس لهنات ينقمونها عليه) (الطبري ج٤ / ٢٢٤ـ٢٢٥، الكامل ج٣ / ٢٤٩ـ٢٥٠).

من جهة،ومن جهة أخرى استغلّ معاويةُ حلم الإمام الحسن عليه السلام، ليتمادى في غيّه، ويزيدَ في تجاوزاته وتعدّياته، فخطّطَ لذلك خططًا جهنّميّة، تؤدّي نتائجها إلى هدم كيان الإسلام، وضرب قواعده، بدءًا بتحريف الحقائق ونشر البدع

إلى جعلها وراثة(البغدادي ١٨ : ٦٣).

فجعل مِن الخلافة ملكًا عضودًا وإرثًا يتعاقب عليه الأحفاد بعد الأولاد، فحاولوا تزييف الحقائق وهكذا طواغيت العصر.

٢.عرفت شخصيَّة يزيد بالتجاهر بالفسق والفجور ومعاقرة الخمور وفي سير أعلام النبلاء انَّ يزيد سكر يومًا فقام يرقص فسقط على رأسه فانشق(٤،٣٨) .

واشتهرت باللهو واللعب مع القيان والقردة،فكيف له أنْ يتولَّى شؤون إدارة الأمَّة والخلافة الذي هو منصب الأولياء؟! فكان لابد من الثورة من المتمسكين بمبادىء الدين والرسالة المحمدية.

٣.اساليب العنف والبطش والقسوة التي مارستها السياسة الأموية ولدت في النفوس حب الشهادة والتضحية ضد هذه الأساليب عند أهل المبادىء،فالعنف والاضطهاد من الصعب ان تستأصل المبادئ والمعتقدات وحتى العادات بل تزيدها ترسيخا وصلابة، وعندما تتوفر لها الظروف تبرز بشكل اقوى وأشد مما كانت عليه،فمواقف الامويين والعباسيين المسعورة بل وجميع الحاكمين سلبية من أهل البيت وفضائلهم وآثارهم، ومع كل ما بذلوه من جهود للقضاء عليها فقد بقيت من افضل الرموز الشامخة وأقدسها وظلوا في القمة بين عظماء التاريخ (الحسني،١٦٠ – ١٧٥).

٤. اتِّساع هوَّة الانحراف وفي الوسط السياسي وشدة الظلم والجور،لم يكن ثمَّة خيار آخر غير خيار النضال والثورة للإمام الحسين ﷺ فهو الوهج الذي ينبعث في قلوب المناضلين نحو الإصلاح ونشر العدل، فالحسين ﷺ يمكن أن يقال عنه بأنه أضاف بحق قيمة على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،فرفع من قيمة المسلمين وأهميتهم كما جاء في صريح القرآن الكريم إذ يقول: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
c - k a r b a l a . c o m
المجلد الأول/ العدد الأول / السنة الأولى

بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ﴾(آل عمران:١١٠)

٥.وكل هذه الأمور وغيرها جعلت من الحسين رافضا للبيعة ومفوتا الفرصة على بني أميَّة في تمرير مشروعهم الانحرافي،فسارع الحسين بثورته كوسيلة لإضفاء الشرعيَّة على مشروع الثورة،فكان الحسين عليه السلام هو المتصدِّي للإعلان عن عدم المشروعيَّة مِن خِلال إبائه للبيعة،فارتحل الإمام الحسين عليه السلام مظلومًا مضطهدًا مارس معه الأمويون كلَّ ألوان الظلم والقسوة، فقتلوه أبشع قتلة عرفها التاريخ فقتلوا بمرأىً مِنه أولاده وأطفاله وإخوته بعد أنْ حرموه مِن الماء ومثَّلوا بجسده وأوطأوا الخيل صدره وكسَّروا أضلاعه وطافوا برأسه حواضر الإسلام، وسَبَوْا أهل بيته، وأشعلوا النار في مخيَّمه،فكان الحسين عليه السلام شهيدًا غريبًا مظلومًا، ومكروبًا حزينًا.

٦. روح الخوف في الشام والبقاع الأخرى الذي زرعه البيت الأموي، مع انتشار الإسلام وانتشار ثقافته ونمو مجتمعه وما يرافقها من كون روح الشهادة ضئيلة تشبه النجوم في ظلمات الليل ساهم في إبراز التحدي الحسيني العلوي الإسلامي، فولد عددا محدودا من الشهداء تمثل نخبتهم شهداء كربلاء، مما اقتضى من الإمام الحسين عليه السلام أن يقوم بثورته العظيمة والانتحارية من أجل أن يفجر في الامة الإسلامية روح الشهادة من جديد.

٧. شدة الجبن والضعف الناشئة من عجز النفس ومن ضعف اليقين لذا ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله:(ما أخاف على امتي إلا ضعف اليقين) (الحراني:٢٠١)،وعن اسحاق بن عمار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول (أن رسول الله صلى بالناس الصبح، فنظر إلى شاب في المسجد وهو يخفق ويهوي برأسه مصفرا لونه، قد نحف جسمه وغارت عيناه في رأسه. فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: كي أصبحت يا فلان؟ قال: أصبحت يا رسول الله موقنا. فعجب رسول الله من قوله وقال صلى الله عليه وآله: (إن لكل يقين حقيقة، فما حقيقة يقينك،فقال: إن يقيني يا رسول الله، هو الذي أحزنني وأسهر ليلي، وأظمأ هواجري، فعزفت نفسي عن

الدنيا وما فيها، (إلى أن قال)وكأني أنظر إلى أهل النار وهم فيها معذبون مصطرخون، وكأني الآن أسمع زفير النار يدور في مسامعي،فقال رسول الله ﷺ لأصحابه:(هذا عبد نور الله قلبه بالإيمان، ثم قال له: إلزم ما أنت عليه.فقال الشاب:ادع الله لي يا رسول الله أن أرزق الشهادة معك، فدعا له رسول الله ﷺ فلم يلبث أن خرج في بعض غزوات النبي، فاستشهد بعد تسعة نفر وكان هو العاشر) (الكافي :٢،٥٣)،وكذلك القلوب التي امتحن الإمام الحسين عليه السلام أصحابه لينظر ما هم عليه، فإذا به لا يرى إلاَّ رجالًا كالجبال لا تزلزلهم الأهواء ولا تقتلعهم العواصف، وكل واحد منهم يعبّر عن الحب والولاء والاستعداد للقتل بين يديه فداءً له ولدينه، وفي تلك الليلة انصهرت الأرواح في روح الحسين عليه السلام لترفع إلى الله صلاتها ودعاءها وابتهالها وتضرُّعها وبكاءها في جوف ذلك الليل، فلقد انشغل الجميع بين قائم وقاعد وراكع وساجد، فتحوَّل بذلك سواد الليل إلى أنوار إلهية مشرقة في تلك النفوس المطمئنة المؤمنة.

المطلب الثاني

القيم الفكرية والروحية لزيارة الأربعين

أبرز الباحث مقطعا من الزيارة المباركة تيمنا بها أولا وأخذ شواهد لبيان ما يمكن استنتاجه منها ثانيا،وإبراز المعاني الفكرية والإستنباطية والتوصيفية ثالثا،وما جاء عنهم عليهم السلام: (اللَّهُمَّ إنِّي أشهدُ أَنَّهُ وليُّكَ وابنُ وليِّك وصفيُّكَ وابنُ صفيِّك الفائزُ بكرامتك أكرمتهُ بالشَّهادةِ وحبوتهُ بالسَّعادةِ واجْتبيتهُ بطيبِ الولادة وجعلتهُ سيِّدًا من السَّادةِ وقائدًا من القادة وذائدًا من الذَّادَةِ وأعطيتهُ مَواريثَ الأنبياءِ وجعلتهُ حُجَّةً على خلقكَ من الأوصياءِ فأعذرَ في الدُّعاءِ ومنحَ النُّصحَ وبذلَ مُهجتهُ فيك ليستنقذَ عبادكَ من الجهالةِ وحيرةِ الضَّلالةِ وقدْ توازرَ عليهِ مَنْ غرَّتْه الدُّنيا وباعَ حَظَّهُ بالأرذلِ الأدنى

مجلة علمية محكمة نصف سنوية c-karbala.com المجلد الأول/ العدد الأول/ السنة الأولى

وَشَرى آخرَتَهُ بالثَّمنِ الأوكَسِ وتَغَطْرسَ وتردَّى في هواهُ وأسخطكَ وأسخطَ نَبيَّك وأطاع منْ عبادكَ أهل الشِّقاقِ والنِّفاقِ وحملةَ الأوزارِ المُستوجبينَ النَّار فجاهَدهُمْ فيكَ صابرًا مُحتسبًا حتَّى سُفكَ في طاعتكَ دَمُهُ واستُبيحَ حَرِيمُهُ اللَّهُمَّ فالعَنهُمْ لعنًا وبيلًا وعَذِّبهُمْ عذابًا أليمًا) (الجزيني (٧٨٦ هـ ق)، ١/ ٧٩ ط١ (١٤١٠هـ)

الزيارة الأربعينية: هي وصف لعاشوراء الدم والفداء فلقد أفرز يوم التضحية عاشوراء- على مر التاريخ مكانا وزمانا جملة من المفاهيم البراقة والثمرات الطيبة سنذكرها تباعاومنها :

أولا: القيم العاشورائية التي يمكن تحصيلها من زيارة الأربعين:

هناك جملة من القيم ركز عليها لما لها دور من أجل إحياء تعاليم الرسالة السماوية الباحث وهي والتضحية الربانية وهي:

أ. **ألشهادة رمز الإباء والعشق**: الشهادة سعادة وفوز وربح للمقاتل في ساحة المعركة، ولكنها في الحقيقة لذّة الأنس، ومجاورة الأنبياء العظام، والأولياء الكرام، ومن هنا كانت مفردة (شهيد) مشتق من (شهود) وهو في الأصل (الأصفهاني).

وهي بمعنى (الحضور المقرون بالمشاهدة الذي شاهده أصحاب الطف في كربلاء) سواء كان ذلك بالعين الباصرة وهم يرون المعاجز في واقعة الطف أو بعين القلب، وقد وردت في (مقاييس اللغة) ثلاثة أُصول في معنى الشهادة وهي: الحضور والعلم والإعلام للآخرين، ومن هنا كان إطلاق (شهيد) على من يقتل في طريقه هو لحضور ملائكة الرحمة عليه، أو بسبب حضوره في ساحة الجهاد، أو بسبب مشاهدة النعم العظيمة التي أعدّها الله له، أو بسبب حضوره بين يدي الله وهو الفوز

والنصر معا،وفي ذلك يقول زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي ﷺ قال: قال رسول الله١ إذا مات الشهيد من يومه أو من الغد فواروه في ثيابه وان بقي اياما حتى تغيرت جراحه غسل) (زيد بن علي ، ١/ ١٤٦)

فهنيئًا للشهداء لما وعدوا به،وأكثر من ذلك هنيئًا لهم بلوغهم نعم الله التي هي (رضوان من الله أكبر)،ومن هنا عدت نصرا وربحا وفوزا،فحقيقة الفوز للشهادة جعلت من أمير المؤمنينﷺ مناديا بصوته عاليًا بها:(فزت ورب الكعبة)(المعتزلي ، ٩ / ٣٢٠٧ / ٣٠٣)

عندما ضربه ذلك الشقي، ليبقى صدى تلك الصرخة يتردد في آفاق الزمن ليقرع أسماع شيعته ومحبيه ويتعلموا الدرس !.

فما دامت الشهادة تحقق النصر،وهي الهدف الإلهي لوجود الإنسان على الأرض، فليس غريبًا على الشهيد أن تطوى لأجله كل العوائق وتزال عن طريقه في الدنيا العقبات،ويعيش الفرح والسرور في عالم البرزخ في الآخرة، وهكذا فإن الزائرين يرون في زيارتهم يوم الأربعين هذا الإباء والعنفوان الذي حققته هذه الفئة المؤمنة،فالشهادة هي السعادة الحقيقية للإنسان في كل حياة ينتقل إليها(الإمام الخميني،١/ ٩) ويرون أيضا حشد للهمم وتجديد للأرواح وتأييدا للثورة وللدماء التي سالت في أرض كربلاء،بل رافعين شعار الولاء والعهد في الزيارة الأربعينية للحسينﷺ وهو يرى بأن ثورته ستنجلي عن استشهاده وأهل بيته،والاستشهاد بنظره سيترك على دروب الناس نورا وضياءً وأثرا، وفي قلوبهم وهجا ساطعا تسير الأجيال على ضوئه في ثورتها على الظلم والطغيان في كل أرض وزمان،مخلفةً في زيارة الأربعين الأثر العظيم في القلوب من الأمل والوعي والمعرفة بحقيقة ثورة

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
c - k a r b a l a . c o m
المجلد الأول/ العدد الأول / السنة الأولى

الحسين،وما تزايد الزائرين عاما بعد عام الا دليل لذلك الوعي.

ب. **انصهار الأرواح يوم عاشوراء في روح الحسين** عليه السلام: الشهيد خلد نفسه في المجتمع عن طريق دمه الخالد الذي وهب الحياة للأمة، ومن هنا اكتسب الحسين عليه السلام وصحبه صفة الخلود عن طريق تقديم كل وجوده وحياته،وكذلك أصحابه لما بان منهم الولاء وحب التضحية لنفوسهم الطاهرة في ميدان الدم العاشورائي،وهكذا نجد الشعور نفسه والإحساس بعينه عند زوار الأربعين،فاستمر الخلود إلى يومنا هذا وما بعده،لانها أزكى الدماء وأطهرها،فالنبي الكريم يقول:(فوق كل ذي بر بر حتى يقتل في سبيل الله، وإذا قتل في سبيل الله، فليس فوقه بر) (العاملي،١٥،٣)

وكيف وقائد القافلة الحسين عليه السلام سبط رسول الله وريحانته،فقد بلغت روحه درجة من السمو والطهارة بحيث ترك هذا السمو والطهر آثاره على جسده فرفض نصرة الملائكة له وفاء للعهد الذي عاهده مع جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما مقولة عقيلة الطالبين ورفيقة الملحمة العاشورائية حينما سارت إلى أخيها بعد أن سقط في ساحة المعركة ووقفت عند رأسه ورفعت طرفها إلى السماء وقالت:(اللّهمّ تقبل منا هذا القربان) (الحسيني٢:٨٧) وكذلك أصحابه،فجعل اللهّ تعالى أفضل السبل والطرق لإرتقاء هذه الفئة المؤمنة أعلى مناصب الخير والحظ بأكبر نصيب من الخلود الأبدي والنعيم الأزلي عن طريق الشهادة،فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لسبطه الحسين عليه السلام: (انّ لك منزلة عند اللهّ لا تنالها إلاّ بالشهادةْ) (المجلسي، ١٠،١٢٩)

فضلا عن الخلود الروائي اللساني فكانت زيارة عاشوراء وزيارة وارث وزيارة الأربعين وغيرها.

وكذلك أصحابه الشهداء فقد كانوا يستشعرون ذروة السعادة من الاندفاع

نحو الشهادة بخلاف من يمت على فراش الموت فثمة بون شاسع، بين الموت الذي هو نهاية طبيعية لكل حي وقدر إلهي ثابت لكل مخلوق،وبين الشهادة التي هي حياة أبدية وليست نهاية الحياة كما يتصورها البعض من الذين لا يؤمنون بالشهادة وقدسيتها،فهي نعمة ليست مجانية كسائر النعم الالهية.

ج.**الجهاد وقيم البطولة والصبر:** برزت الزيارة قيم البطولة والصبر في جهادهم للأعداء فخلدت في زيارة الأربعين فقال (حبوتهُ بالسَّعادةِ بالجهاد،فجاهَدهُمْ فيكَ صابرًا مُحتسبًا حتَّى سُفكَ في طاعتكَ دَمُهُ واستُبيحَ حَرِيمُهُ) كلمات خالدة خلدتها هذه الزيارة ومعان سامية تصور لنا مدى الألم الذي كان يلازم الإمام السجاد عليه السلام يوم الأربعين،ويبين لنا صبر هذه الفئة المؤمنة وجهادها،فنجد أعلى درجات الحب والعشق ظهرت في أرض الطفوف في عرصات كربلاء،فالوله وهو أسمى وأعلى مراتب الحب ظهر في أرض كربلاء وهذا ما بينته النصوص العديدة فقال منهم قائل: (أكَلَتْني السباعُ حَيًّا إنْ فارقتُكَ) (ابن منظور،١٢٩،٧ - ١٣٠،الغامدى،١٥٦).

إنه الذروة التي تستقطب كل وعي الإنسان وإمكاناته نحو مركزها، فنلمس هذه الظاهرة الروحية في الحب والعشق الحسيني في النصوص واضحة ومعبرة عن الحالة الجهادية للأصحاب في ذروة اندفاعهم نحو الشهادة،كما نلمس من خلال النصوص الآتية أيضا طبيعة الحالة الجهادية وقمة الصبر والعشق للشهادة،

ثانيا : نماذج من العشق الالهي للحسين عليه السلام

الكثير هي مظاهر العشق والفناء الروحي لأصحاب الحسين الا اننا اخترنا منها ما يلي:

١.ففي ليلة العاشرة من المحرّم هازل برير(الطبري ٥|٤٢١ و٤٢٣ و٤٣٢، ٤/ ١٤٦) عبدالرحمن الأنصاري (الخزرجي:٤٢٩/ ٥؛ المجلسي:٤٥/ ٧١؛ ابن طاووس/ ٤٠).

فقال له عبدالرحمن ما هذه ساعة باطل، فقال برير لقد علم قومي ما أحببت الباطل

مجلة علمية محكمة نصف سنوية c-karbala.com المجلد الأول/ العدد الأول / السنة الأولى

كهلًا ولا شابًّا، ولكنّي مستبشر بما نحن لاقون واللهّ ما بيننا وبين الحور العين إلاّ أن يميل علينا هؤلاء بأسيافهم ولوددت انّهم مالوا علينا الساعة) (الطبري، ٦،٢٤١)

٢ .وفي مشهد آخر من مشاهد ما قبل واقعة الطفّ المفجعة خرج حبيب بن مظاهر الأسدي يضحك،فقال له يزيد بن الحصين: ما هذه ساعة ضحك، قال حبيب: وأيّ موضع أحقّ بالسرور من هذا الاّ أن يميل علينا هؤلاء بأسيافهم فنعانق الحور) (الكشي).

فهذا التعطّش والشوق لما أعدّ اللهّ لهم في الآخرة من نعيم لا يقدح في عظمة نصرتهم وسمو مبدئهم وفضلهم وشرفهم ورفيع رتبتهم لأنّه إدراك الكبرياء النعيم الأخروي والجزاء الإلهي الذي لايعد له جزاء والعشق الحقيقي،والذوبان المطلق في المعشوق – الإمام الحسين عليه السلام– الذي طاعته طاعة اللهّ تبارك وتعالى،بخلاف العشق المحرم كما يصفه منصور النمري(عبد البر،٣،٨١٦).

وإن امرءًا أودى الغرام بُلُبِّه لعريان من ثوب الفلاح، سليبُ

وقال ابن القيم مبينًا خطر العشق على الدين:(ومحبة الصور المحرمة وعشقها، من موجبات الشرك، وكلما كان العبد أقرب إلى الشرك، وأبعد من الإخلاص كانت محبته بعشق الصور أشد) (ابن القيم ص ٤٩٠_ ٤٩١).

٣. ذوبان العشق الحسيني في القلوب،وكلما كان أكثر إخلاصًا وأشدّ توحيدًا كان أبعد من عشق الصورالمحرمة،وبذلك ذاب زهير بن القين في الحسين(البجلي: ٤٥ / ٧١. (٢) الطبري: ٥ / ٣٩٦ – ٣٩٧: ٧٣) وحبه بعد أن أزال من إمام ناظريه الغشاوة التي كانت تقف بينه وبين كونه مع الحق وأهله مع أهل البيت عليهم السلام، فاستأذن الإمام عليه السلام لقتال القوم بقوله:

أقدم هديت هاديًا مهديًا فاليوم ألقى جدك النبيا

وحسنًا والمرتضى عليًا

فأجابه الإمام عليه السلام:وأنا ألقاهما على أثرك« فقاتل حتى سقط شهيدًا مضرجًا بدمه، فقال الإمام عليه السلام:لا يبعدنَّك الله يا زهير، ولعن الله قاتليك، لعن الذين مسخوا قردةً وخنازير) (القزويني،١،١٨)،وهكذا يعلمنا زهير بشهادته أن الإنسان قادر في اللحظات التي تحتاج إلى اتخاذ القرار الجريء لأن يكون مع الحق بأن لا يجعل للشبهات طريقًا إلى قلبه وعقله لتمنعه من أن يكون مع الحق وأهله، وهذا من العشق الممدوح،الذي يرتوي من هذه المحبة ويذوب في عشق الحسين، فهو على درجة من الإخلاص لأن جوهر الدين ولاية ومحبة أهل البيت، وإلاّ فهو جسد بلا روح.

المطلب الثالث

قيم الحب والاتباع لأهل البيت عليهم السلام والعبودية لله تعالى

الحب بالضم والتشديد مصدر ودّ،(قلعجي،١، ٥٠٠)

والحُبُّ: المحبة والوداد، وكذلك الحِبُّ بالكسر، والحِبُّ أيضًا: الحبيب (الفارابي، ١،١١٠)

والمَحَبَّةِ والحُبابِ بالضم،أَحَبَّهُ، وهو مَحْبُوبٌ، على غيرِ قِياسٍ (فيروزابادي،١،٤٤)

والحب كالمطر يأتي على انتظار أو على غير انتظار، يسقي الأرض وينبت الربيع ويَروي الظمأ، ويملأُ النفوس فرحًا ورجاءً، ويذهب باليأس القابض على صدور الجياع المحرومين، ويهتك الضباب الذي يغمر الوديان والجبال، ويمحض الآفاق من بعد والحياة رَوْحًا وبهجةً وسكينةً، وتطوف بين ظهراني الناس، تضع عنهم الآصار الثقال، وتزحزح عن صدورهم الكروب الشداد، وتمسح عن وجوههم غبرة الضراء الثقيلة،وهو داء دوي تذوب معه الأرواح، بل هو بحر من ركبه غرق; فإنه لا

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
c-karbala.com
المجلد الأول/العدد الأول/السنة الأولى

ساحل له، ولا نجاة منه لذا يحتاج إلى الإيمان والتصديق، فالايمان يمثل الحب، وقال بعض الحكماء: (الجنون فنون، والعشق من فنونه) (الجوزي،ص١٩٧).

وهو العنصر القلبي الكبير فبه تصلح القلوب وتتَنْفُس الأنفسُ وتسمو العقول،كما أنه زينة الحلماء العقلاء، وصنعة الحكماء الأتقياء، ويمثل رسالة الأنبياء جميعًا، وهذا الحب لا يضمر من اصطفاه الله له إلا رغبة في بذل المعروف للناس كافة من غير تفريق بين من يواليه بإحسانه، وبين ما ينابذه ببغضائه، أما الموالي بالإحسان فلولائه بإحسان، وأما المنابذ بالبغضاء، فلما يكون من عطف وشفقة يبذل بهما له ما يستبين به سبيل الرشاد، فينأى الموالي عن الشوك المدمي، وخرط القتاد ومن مصاديق الحب وأحواله.

أولا: الحب لله تعالى ولخاتم الأنبياء والوسيط بينهما:

وصف الله تعالى قلب النبي محمد ﷺ بالرحمة الواسعة بقوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلبِ لانفَضوا مِنْ حَوْلِك ﴾ (آل عمران:١٥٩).

لا الجفاء والقساوة فلو كان جافيا سيء الخلق وقاسي الفؤاد غير ذي رحمة ولا رأفة لانفضوا من حوله،أي لتفرق أصحابك عنك و نفروا منك(الطبرسي، ٢، ٣٨٢)،ويتمثل بالحب الكبير الذي ما وسعه إلا ذلك القلب الكبير،وهو العيبة التي حفظت الإسلام بكل عقائده، وأحكامه، وأخلاقه وفي الحياة وبعد الموت، لتقوم شاهدًا في الناس وفي جميع الأعصار والأمصار،وقال تعالى: ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ (آل عمران :٣١)، أي ان هذا النبي الحبيب هو حلقة ارتباط بين المحب والمحبوب.

والتعبير عن هذا الحب والمودة والولاء لأهل البيت عليهم السلام كما هو ركن عبادي كذلك يكون من الشعائر الإسلامية عندما يكون التعبير ضمن الصيغ والاساليب

العقلائية المشروعة التي يستخدمها العقلاء في التعبير عن هذه المواثيق والمشاعر النبيلة ; لان هذا التعبير عن الحب والولاء إنما هو تعبير عن ركن من الاركان التي بني عليها الإسلام ضمن الصيغ المشروعة والمحددة من قبل أهل البيت ﷩.

ولذا نجد أهل البيت ﷩لم يتركوا (الجماعة الصالحة) وبقية المسلمين في هذا المجال دون أن يحددوا ويوضحوا مجموعة من الصيغ والمناهج العامة لتصبح شعائر للتعبير عن هذا الحب والمودة اللذين يجمعهما الولاء،وجاء في بعض الروايات أن زيارته من قرب واجبة للمستطيع، وهذا الامر وإن لم نعرف من يفتي به من الفقهاء ولكن لا يبعد أن يكون هذا الوجوب إما ولائيًا بحسب ضرورات تلك المرحلة التي صدر فيها النص، أو يكون المراد منه وجوبًا في الحب والولاء والارتباط بأهل البيت ﷩وعلى أي حال فالنصوص تدل على الاقل على شدة استحباب هذا العمل ومطلوبيته كما في صلاة الجماعة مثلًا التي ورد تأكيد استحبابها(الطبراني ٣: ١٣٤ح ٢٨٨٠).

ثانيا : حب أهل البيت ﷩

إنّ حبّ أهل البيت ﷩ يجسّد حبّ الله تعالى وحبّ رسوله ٦ في أجلى صوره، وذلك غاية أمل المؤمنين،كما أن حبّهم ﷩من أكبر المصاديق للحبّ في الله؛ لأنّه حبٌّ يتوجه إلى أفراد يحبّهم الله ويندب إلى حبّهم، وبغض أعدائهم يجسد البغض في الله؛ لأنّه بغضٌ يتوجه إلى أفراد يبغضهم الله ويأمر ببغضهم، وذلك حقيقة الِايمان وأوثق عراه، قال رسول الله ٦: (أوثق عرى الِايمان الحب والبغض في الله) (الكافي ٢: ١٢٥ ـ ١٢٦، ١،٦: ٤٣، ١٠٥)

وفي الحديث القدسي:(ما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه) (العاملي ١١: ٤٣١)

ومن أجلى أفراد تلك الفئة الصالحة عباد الله المخلصين مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، وقد عرفه بذلك رسول الله في حديث الراية الصحيح الثابت المتواتر المتفق عليه بقوله:(لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله) (جابر بن عبد الله) جاء في صحيح البخاري(البخاري ج٧ : ص١٩٠)

وهذا الوسيط في الحب الذي هو رمز الصلة بين الله وبين من آمن به، ووسيلة العباد إليه، وباتباعه تدرك سعادة الدارين، وبه يفوز المؤمنون في النشأتين، وتنزل لهم البركات في العاجل والآجل، وله الأولية والأولوية في الحب ثانيا وبالعرض بعد رسول الله، وله السبق في ذلك إلى كافة الموجودات، وإلى جميع ما صورته يد القدرة في عالم الوجود، وإلى هذا يوعز ما جاء في الصحيح من قوله: أحبوا الله لما يغذوكم، وأحبوني بحب الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي،وكون حبهم عنوان صحيفة المؤمن كما جاء عن الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد.

وكما ورد التعبير عن الايمان والدين بهذا الحب، فعن الفضيل بن يسار قال: «سألت أبا عبد الله عن الحب والبغض أمن الايمان هو؟ فقال: وهل الايمان إلاّ الحب والبغض ؟! ثم تأوّل هذه الاية: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ (الحجرات:٧) (العاملي،١٢،٧٦).

ثالثا: الحب والاتباع في زائرين الحسين عليه السلام ليوم الأربعين:

الحب والبغض مظهر آخر لمبدأ التولّي والتبرّي الذي جاء في الزيارات المختلفة وبعبارات متنوعة، فتعد البيعة وتجديد العهد والتواجد يوم الأربعين في كربلاء وغيرها من المراقد المطهرة من العناصر الرئيسية المهمة في الزيارات وتأكيد هذا الولاء والعهد والميثاق الذي يعقده الزائر مع الإمام والشهداء يوم الأربعين،فيمثل الجهاد

بعدًا حيًا آخر في سياق عمل وسلوك أولياء الله، مثل رسول الله، وأمير المؤمنين، وشهداء أُحد، وشهداء كربلاء،كما تعدّ الشهادة من المظاهر الأُخرى البالغة الوضوح في ثقافة عاشوراء مما يمكن ملاحظتها وترسيخها في النفوس،فحقائق الحب المثمر لله جل وعلا أنه إنما يثمر وينتج للعبد عندما يتحقق التحابب من الطرفين، وتوافر بواعث ودواعي للعبد فيحبه الله بها، وإليها يومي قوله تعالى:﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ (آل عمران:٣١).

وعن أبي جعفر أنه قال له: «يا زياد، ويحك وهل الدين إلاّ الحبّ؟ ألا ترى إلى قوله تعالى:﴿قل إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾ (آل عمران:٣١)

ولا يكفي الحب المجرّد بل لا بدَّ من الاتّباع وتحمل تبعات هذا الحب،وهكذا محبيه في زيارة الأربعين وهم يطوون المسافات في الأزمنة الغابرة وهم يتحملون تبعات هذا الطي من قتل وتعذيب وقطع للأيادي والسجن،فتراهم متبعون للإمام،فعن أبي عبدالله عليه السلام قال: (إنّا لا نعدُّ الرجل مؤمنًا حتى يكون بجميع أمرنا متّبعًا مريدًا) (الكافي ٢: ٧٨).

وعن الإمام الباقر عليه السلام: (لا يبلغ أحدكم حقيقة الإيمان حتى يكون فيه ثلاث خصال: حتى يكون الموت أحبّ إليه من الحياة، والفقر أحبّ إليه من الغنى، والمرض أحبّ إليه من الصحة. قلنا: ومن يكون كذا ؟! قال: كلّكم ! ثم قال: أيّما أحبُّ إلى أحدكم يموت في حبّنا أو يعيش في بغضنا ؟ فقلت: نموت والله في حبّكم؟) (معاني الاخبار: ١٨٩)

ثم أنه نجد أعلى درجات الحب هو العشق الحسيني الذي ظهر في أصحاب

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
c-karbala.com
المجلد الأول/ العدد الأول / السنة الأولى

الحسين لإمامهم فكان حبا ممدوحا مثابا عليه لا مذمومًا فاسدًا مفسدًا للقلب والجسم،فجنة الخلد ما كانت ولن تكن لولا تلك الفئة المحبة العاشقة للخلود بدم الشهادة بما تحمله من مفاهيم وقيم،فبعضها عقائدي فكري والبعض الآخر اجتماعي أخلاقي،وثالث جمع بين الفكر والعاطفة، واحتوت العقل والسيف، وجميعها ضمّت الشعار إلى الحكمة، والعِبرة إلى العَبرة فكانت عاشوراء إلى الأبد.

المطلب الرابع

آثار زيارة الأربعين في زرع القيم العليا في أتباع أهل البيت عليهم السلام

الكتاب المنزل من عند الله تبارك وتعالى يحتوي على قيم عليا أكد عليها كثيرا في آياته،فالتوحيد قيمة عليا وأصل ثابت، والأمن والعدل والحرية،ورعاية حقوق الضعفاء وحقوقهم المعنوية، كحقّهم في الاحترام والتوقير، وحرية التفكير والتعبير العدل، والإحسان، وإيتاء ذي القربى، وكذلك أعطى الأئمة الأَطهار لتوجّهات القرآن الكريم وأقوال النبي وأفعاله الفكرية والتربوية روحًا جديدة، وزخمًا قويًا عندما أُلقيت على عواتقهم وظيفة النهوض الحضاري بالأَمة في جميع المجالات،وكذلك الحال في زيارة الأربعين وآثارها الدالة لأعلى قيم الحب والولاء والإتباع فنجدها في هذه الزيارة كما وصفها جابر(حبيب لا يجيب حبيبه) فعن عطية العوفي قال خرجت مع جابر بن عبد الله الانصاري رضي الله عنه زائرا قبر الحسين عليه السلام فلما وردنا كربلاء دنا جابر من شاطئ الفرات فاغتسل ثم أتزر بازار وارتدى بآخر ثم فتح صرة فيها سعد فنثرها على بدنه ثم لم يخط خطوة الا ذكر الله تعالى حتى إذا دنا من القبر قال ألمسنيه فألمسته اياه فخر على القبر مغشيا عليه فرششت عليه شيئا من الماء فلما افاق قال يا حسين ثلاثا ثم قال حبيب لا يجيب حبيبه ثم قال وانى لك بالجواب وقد شخبت اوداجك على اثباجك وفرق بين بدنك ورأسك اشهد انك ابن

مجلة علمية محكمة نصف سنوية www.arbnj.com صفر ١٤٤٥هـ ، أيلول ٢٠٢٣م

خير النبيين وابن سيد المؤمنين وابن حليف التقوى وسليل الهدى وخامس اصحاب الكسا وابن سيد النقبا وابن فاطمة سيدة النسا،ومالك لا تكون هكذا،وقد غذتك كف سيد المرسلين،وربيت في حجر المتقين،ورضعت من ثدي الايمان،وفطمت بالإسلام فطبت حيا وطبت ميتا غير ان قلوب المؤمنين غير طيبة بفراقك ولا شاكة في حياتك،فعليك سلام الله ورضوانه واشهد انك مضيت على ما مضى عليه اخوك يحيى بن زكريا..... والذي بعث محمدا بالحق لقد شاركنا كم فيما دخلتم فيه قال عطية: فقلت لجابر: فكيف ولم نهبط واديا ولم نعل جبلا ولم نضرب بسيف والقوم قد فرق بين روءسهم وابدانهم واوتمت اولادهم وارملت الازواج.

فقال لي يا عطية:سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول: من احب قوما حشر معهم ومن احب عمل قوم اشرك في عملهم والذي بعث محمدا ٦ بالحق ان نيتي ونية اصحابي على مامضي عليه الحسين عليه السلام واصحابه) (الأمين،١،٢٣٥)

ذلك العمل العظيم المنزلة والمقام وذاك العشق للشهادة الذي بان ليلة العاشر من محرم حيث العيون الخُشّع السُّجّد الرُّكَّع في ثلث الليل الآخر،وهم ما بين راكع وساجد ومناج لربه فاستعانوا بالصبر والصلاة وفي ذلك قوله سبحانه: ﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾(البقرة:٤٥).

ثم يسلموا تسليما ترجم له في أرواح الأجيال اللاحقة وقلوبهم فعاشوا العشق نفسه وتاهوا في الأنوار الحسينية والشهادة العاشورائية،فمن أراد أن يعلم حب أهل البيت فليمتحن قلبه، فان شارك في حبنا عدونا فليس منا ولسنا منه والله عدوه وجبرئيل وميكائيل والله عدو للكافرين) (الصافي،١٦٢،٥).

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام: (لا يجتمع حبنا وحب عدونا في جوف إنسان،

مجلة علمية محكمة نصف سنوية c-karbala.com المجلد الأول/ العدد الأول / السنة الأولى

إن الله عزوجل يقول: (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) (الأحزاب:٤) (الثقلين:٤،٢٣٥، الحويزى (١،١١٢هـ)).

فهكذا السائرون لكربلاء الفداء نجد الحب والاتباع في المواكب والهيئات في استلام الوصايا والتعاليم،والتنظيم الرائع الذي تعجز عنه دول ومنظمات في تحمل تبعات الملايين من الوافدين لزيارة الأربعين،ولولا اتباعهم لتعاليم قلوبهم العاشقة وأرواحهم الطاهرة لما وصلوا إلى هذا الحد من الكمال والانتظام، وجميع ذلك يصدر من دون أوامر وتوجيه،بل نابع من حبهم الشديد،وفناءهم العميق في الحسين، وقال الجزائري في الحب أنه: (العشق هو الافراط في المحبة، واشتقاقه من العشقة وهي نبت يلتف على الشجرة من أصلها إلى فرعها فهو محيط بها كما أن العشق محيط بمجامع القلب) (الجزائري،٣٠٠ ط : الحاج موسى).

ولذا قالوا: وكم من عاشق أتلف في معشوقه ماله، وعرضه، ونفسه، وضَيَّع أهله، ومصالحَ دينِه ودنياه) (الجوزي :ص١٩٧).

وكم عاشق عف وصبر،وقد طال لشخص عشقه لجارية من قومه، فقالوا له: ما أنت صانع إن ظفرت بها ولا يراكما إلا الله قال والله لا جعلته أهون الناظرين لا أفعل بها خاليًا إلا ما أفعله بحضرة أهلها حنين طويل ولحظ من بعيد وأترك ما يكره الرب ويفسد الحب) (ديوان الصبابة:١، ٨٩).

وهكذا عشاق الحسين لا يفعلون الا ما هو في مرضاة الله،وهم يقطعون الاف الكيلومترات ولا يهابون الخوف والتعب والبرد والحر حبا وشوقا للتواجد عند الحسين يوم الأربعين،فالمقياس النبوي الدقيق لمعرفة حقيقة الإيمان إذن هو حب أهل البيت عليهم السلام والتزام طاعتهم، والتبرّي من أعدائهم،وهذا يتحقق في زيارة الحسين يوم الأربعين.

ويمكن تصوير الإيمان والكفر بميزان ذي كفتين: كفة بيضاء نقية تشتمل على حب أهل البيت ﷺ وهي كفة الإيمان الصادق، وأُخرى سوداء مظلمة من بغضهم وهي ليس إلاّ الكفر والنفاق والمروق من الدين،والأولى متحققة في عشاق الحسين وزوارهم وخدام المواكب والاعلاميين الشرفاء والمشاة والسائرين والمتبرعين والمحامين وكل من شارك ولو بمنديل،والكفة الثانية متمثلة بالطغاة وأصحاب العبوات والانتحاريين والاعلام الخادع والمزيف والكاذب في نقل الحقائق، وكل عدو لآل البيت يغيظه هذا الكم الهائل من محبي الحسين وعاشقي يوم الأربعين.

وعليه لابد من التوجيه في الزيارة الأربعينية على القيم والدروس التي ترفع من هذه المناسبة العظيمة،والتركيز على العِبرة والخطاب الفكري العقائدي منظما إلى العَبرة والخطاب التعبويّ المؤثر وهو يعرض الجانب المأساوي لواقعة الطفّ ومعاناة عيال الحسين ﷺفي رحلتهم الأربعينية من كربلاء إلى الكوفة فالشام فكربلاء مجددا لتجديد الولاء والصبر الزينبي ومعاناتهم في هذا السفر الدامي،ومن ذلك أيضا هيجان العاطفة والحب الحسيني والعاطفة التي تبرز وتنمو خلال السير نحو كربلاء ماشيا على الأقدام صوب الضريح المقدس بطل الأحرار.

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
صفر - ١٤٤٥هـ / أيلول - ٢٠٢٣م

المبحث الثاني
حقيقة فناء الإمام الحسين في ذات الله وأثرها في النفوس

الفناء في لسان الشرع والعرف واللغة ليس إلا بمعنى تفرق الأجزاء العنصرية وتبدل صورها بعد افتراقها عن نفوسها وأرواحها الجوهرية(ابن منظور).

وليس معناه الانعدام المحض والفقدان،والبحث إنّ الإنسان موجود متحرّك من مرتبة الطبيعة إلى مرتبة الغيب وإلى الفناء في الألوهيّة،وبالفتح: سقوط الأوصاف المذمومة، كما أن البقاء وجود الأوصاف المحمودة والفناء، فناءان: أحدهما ما ذكر، وهو بكثرة الرياضة، والثاني عدم الإحساس بعالم الملك والملكوت، وهو بالاستغراق في عظمة الباري ومشاهدة الحق(القونوي:١/ ٥٤).

المطلب الأول
الفناء الحقيقي لعباد الله في التوحيد

يرى العلامة الطباطبائي(.. على أن الربوبية والمربوبية بإرتباط حقيقي بين الرب والمربوب، وهو يؤدي إلى حب المربوب لربه لإنجذابه التكويني إليه وتبعيته له، ولا معنى لحب ما يفنى ويتغير عن جماله الذي كان الحب لأجله) (من وحي القرآن: ج ٩، ص١٢٠).

والشخص الوحيد الذي انبثق عن أصل التوحيد مع رسول الله، وحاز على أعلى الدرجات وأرفع المقامات في دَرْك الحقيقة والمعارف الإلهيّة والفناء في الذات الذات الأحديّة أمير المؤمنين عليا عليه السلام لذلك فهو يقول في جواب أمير المؤمنين: لِمَ لا

أُحبّكَ ولا أعتنقك، ولا أمسح عرق وجهك الجميل بوجهي ؟ أنتَ روحي التي بين جنَبي، و أنت حقيقتي وأنت الرافع راية العدل و التوحيد...وأنت الامتداد لنبوّتي و الحافظ لشريعة الله بين شرائح الناس المختلفة حتّى يوم القيامة، وقال اللهُ تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النّبِيّينَ وَالصّدِّيقِينَ وِالشّهَدَآءِ وَالصّلِحِينَ وَ حَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾(النساء :٦٩)، ويستفاد من هذه الآية أنّ إِطاعَة الله والرسول تستلزم نوعًا من الاتّحاد المعنويّ و الروحيّ الذي يتحقّق مع الخواصّ المقرّبين من جلاله المقدّس ومحارم حريم أُنسه و حرم أمانه،ولمّا كانت روحُ الإطاعة التسليم في مقابل المطاع، وكلّما كانت الإطاعة أقوى، كان اندكاك المطيع في حقيقة المطاع أكثر إلى المستوى الذي لو ارتفعت فيه الاطاعة إلى أعلى درجة بحيث أن يصبح بلا رأي من عنده و بلا إرادة أبدًا بل إنّ إرادة المطاع و رأيه يستحوذان عليه حقًّا، ففي مثل هذه الحالة، و بسبب الفناء في ذات المطاع، لا يساور الإنسان الريب، أنّه ستكون له المعية و الاتّحاد الروحيّ مع الأشخاص الذين كانوا أترابه في هذا الخطّ (الحسيني،٣،٧٤).

وهيهات هيهات من يلحق عليا ﵇ وقد اجتمعت فيه الصفات المتبائنة:

هو البكاء في المحراب ليـــلا والضحاك إذا اشتد الضراب

وقد طلق الدنيا ثلاثا مخاطبا لها غيري غري لست فيك مائلا وهو قوله:(هيهات هيهات يا دنيا ! غري غيري، فقد طلقتك ثلاثا لا رجعة بعدها أبدا)(اللواساني – ٢،٦٤)

وهكذا أفنى الحسين روحه في عز الله وكرامته،فالذات الوحيد الذي يستأهل للحب أولا وبالذات قبل كل شيء إنما هو الله تبارك وتعالى، فكل صفة من صفات

مجلة علمية محكمة نصف سنوية c-karbala.com المجلد الأول/ العدد الأول / السنة الأولى

جلاله وجماله وكماله، وكل سمة من مظاهر قدسه، وسبحات وجهه، وبينات عظمته وكبريائه، ودلائل عواطف رحمته ولطائف بره مع تكثرها بمفردها باعثة قوية للحب الذي لا انتهاء له،واحتلال حبة قلبه بالحب،وإلى عوارف رحمته تمتد سلاسل الحياة، ومنه جل وعلا سوابغ النعم، وصفو المنائح والمنن، وما بكم من نعمة فمن الله،إن الفناء في شُهُودِ الأَزَلِيَّةِ والحُكْمِ يَمْحُو شُهُودَ العَبْدِ لِنَفْسِه وصِفَاتِه فَضْلًا عن شُهُودِ غَيْرِه فلا يَشْهَدُ مَوْجُودًا فاعِلًا على الحَقِيقَةِ إِلا اللهَ وَحْدَه وهكذا كان الحسين يوم عاشوراء لا يرى غير الله بالرغم من الالاف من الأعداء المحيطين به وبصحبه،وفي هذا الشُّهودِ تَفْنَى الرسُومُ كُلُّهَا فَيَمْحَقُ هذا الشُّهُودُ مِن القَلْبِ كُلَّ مَا سِوَى الحَقِّ(الزَّبيدي١،٢٣٣٨).

وهداية الله سبحانه تأخذ بيد الإنسان فتخطو به إلى المثالية الرفيعة كما في الحر الرياحي حيث أخته يد الرحمة وكلمات الحسين معه أيام عاشوراء وليس في العقل ما يمنع من الوصول إلى اعلى درجات الكمال،فوصل ونال الشهادة والعز في الدارين،وهكذا في زماننا نجد من أصبحت الدنيا لا قيمة لها تجاه ما يقدمه للزائرين من خدمة وإيثارا وبذل وغيرها رضا للحسين عليه السلام.

وهذه المعاني العالية والدرجات السامية للحسين إنما تحققت بتضحيته بدمه وروحه وأهل بيته وصحبه من أجل الدين،فوصل إلى مرتبة لم ينلها أحد من الخلق،ومراتب الحب لله تختلف باختلاف علمهم ومعرفتهم، وذلك أن الحب المنتزع من بواعثه وموجباته يستتبعه العلم بها، وينشأ ويقدر بقدر الإطلاع عليها،ومن هنا كان زوار الزيارة الأربعينية متفاوتين في الحب والفناء والتضحية والتحمل والصبر والخدمة الحسينية،فبعض أفنى حياته للمحبوب وغدا يرى روحه تتقلب في ساحة

حضرة الحسين ﷺوبعض يمتد بكل جهة صوب زوار الحسين ﷺ وهو يرى فيهم المناصر والمدافع عن ثورة عاشوراء،وثالث يرى الملائكة تنزل وتتبرك بغبار زوار الحسين ﷺالقادمين من أقصى جنوب العراق،وشماله،فذها العشق الحقيقي الدائم،فإن إبراهيم ﷺ أبطل ربوبية الكواكب بعروض الأفول له،وإنما ذكر الأفول ليوجه به عدم حبه له المنافي للربوبية،فاختار للنفي وصف أولي العقل حيث قال: (لا أحب الآفلين): وكأنه للإشارة إلى أن غير أولي الشعور والعقل لا يستحق الربوبية من رأس) (من وحي القرآن:٩،١٢١،ص ١ ,١١٩).

المطلب الثاني

مظاهر العبودية لله في يوم الأربعين:

خلال هذا السير المليوني تتولد آلاف التساؤلات والاستفسارات في ضمائر الأحرار لمظاهر الفناء والتوحيد لله عز وجل،فنرى من البعض يظهر أسئلة تعجبا واستنكار،والآخر يعطي بيانا وتوضيحا لما جرى في أرض الطفوف ومن تلك التساؤلات هي:

١. تحريك الإنسان في السؤال عما دار وحدث في تلك الواقعة العظيمة والمأساة التي تعرض له الركب الحسيني المجاهد.

٢.تقوية العاطفة الحسينية من خلال جملة من الأمور أهمها احياء الشعائر الحسينية المتعلقة بيوم الأربعين،فنوع العاطفة وقوتها إنما تتباين قوة وضعفا وبقاء وزوالا ودواما ومؤقتا تبعا للأثر الذي تولدت منه العاطفة فمتى ما كان المؤثر والحدث قويا كان نوع العاطفة أشد وجودا وقوة،فشهادة الحسينﷺ وأهل بيته وصحبه في تلك الحادثة المهولة أعطت أعظم الدروس في التضحية والفداء من أجل الدين وبقاءه.

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
صفر ١٤٤٥هـ ، أيلول ٢٠٢٣م

٣. رفض كل مظاهر الإنحراف فهي بنفسها حادثة محزنة ومؤلمة غاية الحزن والألم،فلابدّ فيها من عاطفة تلائمها تبرز من خلال الدمعة والحزن والبكاء والتضحية.

٤. العمل في إحياء الشعائر من الزيارات ومجالس العزاء والمشي قاصدين كعبة الأحرار مسافات ومسافات مواساة لأهل البيت،فالمآتم التي تقام في البيوت، ومواكب العزاء، وارتداء السواد، ورفع الرايات وتوزيع الماء وغير ذلك كلها من مظاهر الحزن والبكاء على الحسين،والحرقة في قلوبهم،وما جرى عليهم فتجري الدموع الما وحسرة،وعندما يكون حبّهم لله ننال به سعادة الدارين والقرب من منازل الصالحين، قال الإمام الحسين(عليه السلام): يا بشر بن غالب(من أحبنا لا يحبنا الا الله، جئنا نحن وهو كهاتين، وقدر بين سبابتيه، ومن أحبنا لا يحبنا الا للدنيا فانه اذا قام قائم العدل وسع عدله البر والفاجر) (البرقي،٢،٦).

٥. لاريب أنّ الفرد المسلم بحاجة إلى المنهل الرائق والنبع الاَصيل الذي يضمن له معرفة الحق من الباطل ويحقق له أقرب الطرق التي تؤمّن الوصول إلى خير الدنيا والآخرة، وبما أن الإنسان يميل إلى الاَخذ ممن أحب وممّن تعلق قلبه به، فان من يهوى أهل البيت(عليهم السلام) سوف يأخذ العلم من أهله، والدين من محله، والتنزيل من مَنزِله، والاعتقاد من أصله.

٦. التركيز على محبة آل البيت (عليهم السلام) وأنها وقاءً وعاصمًا من الانحراف في تيارات الباطل والفرق الضالة، وتكون فيصلًا للدين الحق عن تمويهات المبطلين وتشبيهات المغرضين،وقال رسول الله٦: (حبّ أهل بيتي وذريتي استكمال الدين) (الصدوق،١٦١،١).

٧.إنّ حبّ أهل البيت (عليهم السلام) والتمسك بولائهم هو أمر إلهي ورد في الكتاب الكريم (التطهير)

وعلى لسان الرسول الاَعظم(حديث الثقلين) وأخلاقي وحكمي،فالإطار العام للأخلاقية يستمد صورته من الشريعة الذي يعد الله عز وجل هو المشرع الحقيقي وأهل البيت ممن وظيفتهم البيان والتطبيق،ومن الفقه حيث الاحكام الناشئة من مصادر الاستنباط بما فيها سنتهم،وبما يتضمنه من اجتهاد انطلاقًا من الشريعة كحقيقة إلهية مطلقة(الصدر،٥٤).

فواجه الإمام الحسين عليه السلام معاوية وإجراءاته الخطرة التي دأب – طوال حكمه– بعد استيلائه على أريكة الحكم في سنة (٤٠) للهجرة على العمل بكلّ دهاء وتدبير، لتأسيس دولته المنحرفة عن سنن الهدى والصلاح والتقى، فحاول في الردّة عن الإسلام إلى إحياء الجاهلية الأُولى بما فيها من الظلم والعصبية والتجسيم لله، والقول بالجبر والإرجاء وما إلى ذلك من الأفكار التي تؤدّي إلى تحميق الناس وإخماد جذوة الحركة الثورية الإسلامية، والتوحيدية الإصلاحية،فكانت حركة الحسين عليه السلام وبهذا الأُسلوب المحكم الرصين، وفي الزمان والمكان المنتخبين بدقّة، أوّل معارضة معلنة ضّد كلّ الإجراءات تلك...ومؤدّيًا إلى تبخير كلّ الجهود والاَمال والطموحات التي عملوا من أجلها طوال عشرين سنة من حكمهم الفاسد (ابنُ عساكر ١٤١٥هـ، (٧، ١٢٥)، فوقف الحسين عليه السلام من بيعته ذلك الموقف للأثر السيء الذي مصير الأمة ومقدراتها لو تسلط عليها يزيد فكان لابد من الثورة وإن كلفته الشهادة التي ستؤدي دورها الكامل،ولم يكن باستطاعة يزيد مواجهتها بالأساليب التي اعتاد ابوه، وحيث أن الطغاة متواجدون في كل عصر ومصر ترى أن الأمة فاقت من غفوتها من جديد فحشدت النفوس للبراءة من الظالمين وعلى رأسهم أولئك الذين قتلوا الحسين عليه السلام وصحبه،ومن تبعهم من الطغاة،فلم يهابوا منهم وتواجدوا يوم الأربعين بكل قواهم ونادوا بشعاراتهم رغم الإرهاب والتفجير والقتل.

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
c - k a r b a l a . c o m
المجلد الأول/ العدد الأول / السنة الأولى

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
صفر - ١٤٤٥ هـ / أيلول - ٢٠٢٣ م

المطلب الثالث

زيارة الأربعين أثر في النفوس وعبر للقلوب:

إن لزيارة سيّد الشهداء يوم الأربعين أثر في النفوس وعبر للقلوب،ورسالة للأجيال فهي اصلاح دائم،وهداية على مر التاريخ،فعاشوراء ليس واقعة،بل هي حقيقة تاريخية واقعية رسمت تاريخ الامة من جديد من خلال أعظم ملحمة والشهادة والصمود والمقاومة فهي تدعو للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خلال هداية القلوب وزرع الحب والايثار،والتحمّل والصبر ولهذا فهي خالدة، ويتعرض الذين يتربون في هكذا ثقافة ويتطبعون بالطابع والرائحة الحسينية على طول التاريخ إلى حسد واعتداء وظلم ذوي الفكر المظلم والمستكبرين والفسّاق،فنداء (هل من ناصر ينصرني) خالد لكل الأجيال من الناس البصيرين والواعين والصابرين والمطيعين الذين ينظرون جيّدًا من خلال نافذة الزمان والمكان إلى زيارة عاشوراء والأربعين، ويتزوّدون بالزاد اللازم من كربلاء تلك لكربلاء هذه وكربلاء المتكررة،ومن هنا يمكن استخلاص جملة من الأمور والعبر المهمة:

١. بيان حقيقة مدرسة عاشوراء وتضحياتها ومبادئها،والتأكيد على دورها في كونها فكرًا بناءً وحادثة تستلهم منها الدروس والعبر.

٢. تعد المآتم يوم الأربعين طريق لبيان وإحياء منهج الدم والشهادة، وإيصال صوت مظلومية آل علي إلى أسماع التاريخ،فالمشاركون في المآتم يظهرون كأنهم فراشات متعطشة إلى النور وقد عثرت على الشمع الذي تزين به محافلها، وارتدت ثوب المحبّة من أشعة نور الشموع وغدت على استعداد للفداء والتضحية.

٣. العمل على إقامة مجالس الرثاء والبكاء يوم الأربعين تمثل في حقيقتها نوعًا من تجنيد

طاقات الأمة في خندق الجبهة الحسينية، يُغني ويعمّق هذه الصلة القلبية، كما أنها – المآتم ومنها الزيارة الأربعينية –دور مهم في الحفاظ على ثقافة عاشوراء الداعية إلى اقامة العدل والسلم والى الثأر من الظالمين،وهي تنقل أقوى الصلات عن طريق مزج العقل والمحبّة والبرهان والعاطفة الذي تجسد في كربلاء.

٤.تمثل زيارة الأربعين في محتواها وألفاظها بيان للعهد والميثاق الذي يعقده الزائر مع الإمام والشهداء يوم الأربعين،فيمثل الجهاد بعدًا حيًا آخر في سياق عمل وسلوك أولياء الله، فهي تمثل من المظاهر الأُخرى البالغة الوضوح في ثقافة عاشوراء مما يمكن ملاحظته في الزيارات.

٥.شعائر العزاء على مصيبة الحسين ﵇ تمثل نوعًا من الاعتراض على الظالم ونصرة المظلوم، وهذا ما تحافظ عليه مدرسة عاشوراء في كونها فكرًا بناءً وحادثة يستلهم منها الدروس.

٦.البكاء على مظلومية الإمام في طريق السير على الأقدام – يا حسين – ومن خلال الزيارة الأربعينية مع بيان هدف الإمام من ثورته في بيان حقيقة الحكم الأموي من أهم ما تدعو اليه الثقافة الأربعينية،ومن ثم بيان لطبيعة الحكومات التي تأتي في كل عصر ومصر،فالمآتم التي تقام في البيوت والبكاء على مظلوميتهم، ومواكب العزاء،وارتداء السواد، ورفع الرايات وتوزيع الماء والأكل في الطريق كلها تمثل في حقيقتها نوعًا من تجنيد طاقات الأمة في خندق الجبهة الحسينية، يُغني ويعمّق هذه الصلة القلبية،فيصبح الحسين في نفوس وقلوب الأحرار والشرفاء..

٧.البكاء على الحسين ﵇ في أيام السير نحو كربلاء عموما ويوم الأربعين خصوصا يقوي في النفوس الدعوة إلى العدالة والانتقام من الظلمة والتمهيد لتكاتف القوى السائرة

مجلة علمية محكمة نصف سنوية c-karbala.com المجلد الأول/ العدد الأول/ السنة الأولى

على نهج الحسين للدفاع عن الحقّ، ففي عهد حكم يزيد الجائر حيث كانت المشاركة في مظاهر البكاء والحزن والرفض لفعل يزيد وأتباعه ومجزرة الطف الخالدة والدماء في أرض الطف تمثل نوعًا من إعلان الانتماء إلى فئة الحق والعدل، وإعلان للحرب على فريق الباطل، وفي الحقيقة يمثل البكاء نوعًا من التفاني والشوق للشهادة والإيثار، وهنا تتبلور مآتم الحسين على شكل حركة، وتيار، ومجابهة اجتماعية) (المطهري:٨٠)،ومن هنا كانت زيارة الأربعين وهي تمثل الرفض والثورة والعزة.

٨. إقامة المأتم في المواكب الجسينية على طول طريق يا حسين إلى يوم الأربعين ؛ تعني نقل ثقافة الشهادة للأجيال القادمة وحب الشهادة الذي يعد في مقدمة ثقافة عاشوراء،فبذل الدم والتضحية بالنفس في عاشوراء يساهم في إحياء الارواح لتثأر للدماء التي أريقت ظلما، وهو يحاكي في موقفه ذاك موقف الإمام صاحب الزمان، بقوله (أين الطالب بدم المقتول بكربلاء) (المقرم،١٩٤،المجلسي ٢٢٤،٢٤)

ولمن جاء في كل الأزمان فيستلهمون العزم والتضحية من دماء الشهداء، لقد أعلن سيد الشهداء شعاره قاصدا كربلاء:(من كان باذلا فينا مهجته موطنا على لقاء الله نفسه فليرحل معنا) (المقرم:١٩٤).

وهذه إشارة الثقافة العاشورائية مع أول قطرة تراق من دمهم(الريشهري٥: ١٩٢)

فقطرة الدم التي تراق في سبيل الله، وقطرة الدمع من خشية الله،كلها من منبع واحد وهو العبودية لله،وفي ذلك قال رسول الله:(قطرة دم في سبيل الله، وقطرة دمعة في سواد الليل لا يريد بها عبدا إلا الله) (الريشهري:٥،١٨٧).

مجلة علمية محكمة نصف سنوية www.arbnj.com صفر - ١٤٤٥هـ ، أيلول - ٢٠٢٣م

فالمشاركة في مظاهر البكاء على الشهداء نوعًا من إعلان الانتماء إلى فئة الحق، وإعلان للحرب على فريق الباطل، وإيصال صوت المظلومية إلى أسماع التاريخ فتظهر في المآتم والسائرون في طريق ياحسين يوم الأربعين كأنهم فراشات متعطشة إلى النور وقد عثرت على الشمع الذي تزين به محافلها، وارتدت ثوب المحبّة من أشعة نور الشموع وغدت على استعداد للفداء والتضحية(العصامي،١،٤٦٥)

الخاتمة والنتائج:

الزيارة الأربعينية هي دعوة إلى العدالة والانتقام من الظلمة والتمهيد لتكاتف القوى السائرة على نهج الحسين للدفاع عن الحقّ،وتذكر حكم يزيد الجائر من خلال المشاركة في مظاهر البكاء والحزن والرفض لفعل يزيد وأتباعه،وهي تمثل نوعًا من إعلان الانتماء إلى فئة الحق والعدل، وإعلان للحرب على فريق الباطل وعليه فإن أهم النتائج المستوحاة من البحث هي:

١. الزيارة الأربعينية تدعو مع بيان هدف الإمام من ثورته بيان حقيقة الحكم الأموي وهو ما تدعو اليه الثقافة الأربعينية، ومن ثم طبيعة الحكومات التي تأتي في كل عصر ومصر، وبالتالي يصبح الحسين في نفوس وقلوب الأحرار والشرفاء.

٢. تمثل الشعائر الحسينية المختلفة بألفاظها ومنها زيارة الأربعين من أهم المندوبات في الفكر الإمامي،فالحسين عليه السلام قد أحيى الإسلام بمواقفه قبل كربلاء، وفي كربلاء، وبعدها واستمرّت آثار حركته إلى الأبد.

٣.هدف الزيارة الأربعينية إلى إبراز معالم المدرسة الحسينية التحررية التي استشعرت الظلم ورفضته وخلق جيل يعد ذخرا للوطن وللعقيدة وللإنسانية،وهذا المعنى الذي أرادوا منه أهل البيت على إظهاره من خلال التواجد الحقيقي عند قبر الحسين عليه السلام،والموقف

البطولي التحرري المنبعث من إقامة المآتم الحسينية في زيارة الأربعين وإحياؤها.

٤.الزائرون يرون في زيارتهم ليوم الأربعين الإباء والعنفوان،وحشد للهمم وتجديد للأرواح وتأييدا للثورة وللدماء التي سالت في أرض كربلاء،وأثرها في القلوب من الأمل والوعي والمعرفة بحقيقة ثورة الحسين،وعليه لابد من التوجيه فيها على القيم والدروس،والتركيز على العِبرة والخطاب الفكري العقائدي منظما إلى العَبرة والخطاب التعبويّ وهو يعرض الجانب المأساوي لواقعة الطفّ

٥.إن الشعائر الحسينية ليس فيها ما يخالف الشعائر الإسلامية في الشكل أو المضمون، أو يحرفها ويخرجها عن أهدافها ودورها أو ملامحها التي أشرنا إليها، بل جاءت تأكيدًا للشعائر الإسلامية وتقوية الروح الفدائية للمسلم،وتأصيل منهج الرسالة،وتعميقًا لها كالتي اهتم بها أهل البيت عليهم السلام، وحثوا شيعتهم من محورين رئيسين:أحدهما:تأكيد الشعائر الإسلامية العامة، والآخر بيان منزلة أهل البيت عليهم السلام انفسهم،باعتبارهم حماة الإسلام وامتداد الرسالة الإسلامية.